«الاستثمار في الثقافة».. هو الأكثر ربحاً

فضاء ثقافي في «عين الفنون» يطرح قضية «الاستثمار في الثقافة»

بثينة شعبان: التفكير بشكل إستراتيجي وخلاق في إعادة تشكيل هذه الهوية واحتضانها من قبل الشعب

سارة سلامة- تصوير: طارق السعدوني

- عصام التكروري: إعادة إعمار الوعي تبدأ من الاستثمار في الثقافة لأنها تحمي
- طلال معلا: ندعو جميع المثقفين لتداول هذا المصطلح ووضعه على خط النقاش
- علي إسماعيل: الاستثمار في الثقافة ليس مسؤولية جهة إنه مسؤولية الجميع

«الاستثمار في المشاريع الثقافية هو الاستثمار الأكثر ربحاً لأنه يبني الإنسان المنتمي والمتسلح بالمعرفة، ويحصنه، ويؤهله ليكون قادراً على تنمية ذاته ومجتمعه ووطنه». هذا ما بينه سيادة الرئيس بشار الأسد في آخر لقاءاته مع نخبة من المثقفين الذين أكدوا بدورهم على أن تكون كلمتهم وصوتهم عند مستوى التحديات والتضحيات التي بذلت في سورية، وتكون الدافع للانطلاق بآليات ثقافية قادرة على التأثير، والتفاعل مع روح العصر، لنقل الكلمة الحرة، والثقافة الملتزمة وإحيائها جيلاً بعد جيل.

هذا الموضوع كان الدافع والمحرض الذي دفع جمعية «عين الفنون» أن تطلق ندوة خاصة بالفضاء الثقافي تحت عنوان «الاستثمار في الثقافة» في فندق الدماروز، بحضور وزير السياحة رامي مرتيني، والمستشارة السياسية والإعلامية في رئاسة الجمهورية الدكتورة بثينة شعبان مع نخبة من الفنانين والمثقفين والمهتمين.

وقدم الفضاء كل من الدكاترة: عصام التكروري وعلي إسماعيل وطلال معلا.

مصطلح إشكالي

وبين الدكتور عصام التكروري: «أن مصطلح الاستثمار في الثقافة بذاته هو مصطلح إشكالي، وأيضاً في غاية من الأهمية لأن الاستثمار في الثقافة مسألة ما زالت تخطو بخطوات جداً وئيدة، وأعتقد أنها بحاجة إلى تأطير من خلال برامج يتم وضعها من خلال المثقفين أنفسهم للقيام بهذا المشروع، لأن المصطلح مهم وتفتيت المصطلح أهم ووضع خطة وطنية للاستثمار بالثقافة يأتي كأولوية، ونحن في فترة إعادة الإعمار يجب ألا نقتصر على إعادة إعمار الحجر إنما إعادة إعمار الوعي، وذلك هو العنوان العريض لمسألة الاستثمار في الثقافة، لذلك أعتقد أن ذلك المصطلح مهم والأهم وضع خطط عملية لكي نحوله إلى واقع حقيقي».

وفي مداخلة له قال التكروري: «إن إعادة إعمار الوعي تبدأ من الاستثمار في الثقافة لأنها تحمي وتخلق أرضية للتنمية الفكرية ذات الطابع الاقتصادي، على النحو الذي ممكن أن نعرفه أو ممكن أن نراه بالدول الأوروبية، وأول مرة يتم تناول هذا المصطلح في سورية من قبل سيادة الرئيس بشار الأسد مشكوراً في آخر لقاءاته وأعتقد أن تناول السيد الرئيس لهذا المصطلح في هذه اللحظة بالذات تأكيد على أهمية أن يتم الشروع فيما يمكن أن نسميه فعلاً الاستثمار بالثقافة».

وأفاد التكروري بأنه: «لا وجود للثقافة دون وجود مثقفين، وما يحتاجه المثقف لكي يكون أمام فعل ثقافي إبداعي حقيقي يرتبط في الدرجة الأولى بحرية التعبير والطريقة التي تم تطويرها في دوائر الدولة، فالعلاقة جداً وثيقة بين حرية التعبير وحرية التفكير وحرية التعبير المحدودة تؤدي إلى حرية تعبير محدودة وبالتالي إلى إبداع مسحوب الدسم لا يصلح إلى أن يكون منتجاً قابلاً للاستثمار فيه، من هنا نرى أن يتم فحص منتجنا الثقافي على الأقل من مرحلة الاستقلال لليوم وتصنيفه ما بين منتج قابل للعمل عليه وبين منتج لا يمكن التعويل عليه لأن في النهاية مسألة حرية التعبير بالنسبة للمثقف هي خبزه اليومي ولا يستطيع أي منتج ثقافي أن يتحول إلى منتج له وزنه دون أن يكون منتجاً ذا نوعية عالية الجودة من الأفكار الجيدة والجديدة التي يحملها».

استثمار لكل القيم

بينما أوضح الدكتور طلال معلا: «أن الاستثمار في الثقافة موضوع طرح على أعلى مستوى من قبل رئيس الجمهورية أثناء زيارة وفد من اتحاد الكتاب، لذلك تم طرح الموضوع أو تجديد طرحه المُلّح في هذه الفترة من تاريخ سورية بعد هذه السنوات من الحرب، ومطروح إعادة البلد كاملاً بما فيها إعادة إعمار الإنسان ويتم الاستثمار بالثقافة في الجانبين المادي والجانب الروحي والمعنوي، ونحن في عين الفنون ندعو جميع المثقفين لتداول هذا المصطلح ومحاولة وضعه على خط النقاش والحوار مع الجمعيات وأطراف المجتمع، والحكومة التي تعتبر الراعي الأساسي لوضع الأطر العامة للاستثمار في الثقافة».

وأضاف معلا: «إن سورية بلد حضاري عميق في الزمن وفي حضارته لذلك عندما نقول الاستثمار في الثقافة هو استثمار لكل القيم والمعاني والممارسات الموجودة تحت هذا البند، لذلك لا بد من التداعي وهذا الموضوع طويل الأجل وعميق بالمعاني وله علاقة مباشرة بهوية الإنسان السوري وهوية المجتمع السوري، لكنه بحاجة للحوار حول التشريعات الممكنة لهذا الموضوع ونحن بحاجة حتى نعرف ما الأشياء التي يمكن أن نستثمر بها وما المردود، وكيف ستكون الشركات المستثمرة في هذا الجانب وما هي الحقوق.. حقوق التأليف والعامة لمجتمع يستثمر في الثقافة».

وختاماً قال معلا: «المسألة يجب أن تكون على رأس خطط التنمية والسياسات الثقافية الموجودة في البلد والاستثمار اليوم يوفر فرص عمل ويوفر في نفس الوقت معرفة عميقة بالمتغيرات التي حصلت في الثقافة السورية، والمعروف أن الثقافة هي شيء متحرك وغير ثابت ولذلك هناك مصطلحات جديدة دخلت ويتم تداولها على جميع المستويات».

إحياء التراث الثقافي

ومن جانبه أوضح الدكتور علي إسماعيل: «لأنني أمثل واحدة من المؤسسات الدولية التي تعنى في الحفاظ على التراث الثقافي العالمي هي (مؤسسة الآغا خان الثقافي) التي تعمل بأكثر من ٥٢ دولة بمشاريع مختلفة من أفغانستان وصولاً إلى كندا، فإن الإطار العام الذي يحكم هذه المؤسسة هو إعادة إحياء التراث الثقافي الإنساني في أماكن مختلفة ليس فقط من إعادة الحياة للحجر والأهم من ذلك تفعيل حماس البشر والاستثمار في الثقافة ليس مسؤولية جهة واحدة بل مسؤولية الجميع من الأفراد وصولاً إلى المؤسسات، وليس مسؤولية ملقاة على عاتق الدولة ويستثنى منها الأفراد بل هي مسؤولية تبدأ من الأفراد وتتكامل مع دور الدولة».

نحارب لإنقاذ الحضارة

في مداخلته أكد وزير السياحة محمد مرتيني: «أننا بزمن الحرب أحوج ما نكون للإضاءة على موروثنا وعلى أصل تراثنا وحضارتنا المتجذرة في هذه الأرض، لأن الحرب التي نخوضها اليوم هي منذ اليوم الأول ليست فقط عسكرية، بل إن جزءاً كبيراً منها يهدف إلى نسف كل ما يتعلق بالحضارة في الشرق وفي سورية بالذات، ودليل ذلك ما حدث في حلب القديمة وما يحدث الآن في أرياف إدلب من قلعة سمعان وصولاً للغاب، كل هذه المدن التي كانت الدولة السورية في الفترة الأخيرة تحاول بشكل جدي الإضاءة عليها وكان هناك مشاريع كثيرة تعمل على هذا الأساس، وأؤكد أن هذه الحرب ضد الحضارة وضد الثقافة السورية بامتياز لذلك نحن أحوج ما نكون ليس فقط للاستثمار بالثقافة بل لإنقاذ ما تبقى من حضارة، ونحن نقول دائماً في كل المحافل إننا نحارب لإنقاذ الحضارة في المشرق، وجزء من ذلك عندما نقول الاستثمار في الثقافة هو لإنقاذ ما تبقى، والبناء عليه وإعادة ترميم ما دُمّر في هذه الأرض في الحجر والبشر لأننا قادمون على حرب أصعب».

حرب على الهوية

الدكتورة بثينة شعبان أوضحت في مداخلتها: «إننا في أيام القذائف بسنوات ٢٠١٤، و٢٠١٥، كنا نخافها بالتأكيد ولكنها تركت عندنا يقيناً أن هذه الحرب، أولاً وقبل كل شيء حرب على الهوية الثقافية الحضارية السورية، ولذلك اليوم التفكير بشكل إستراتيجي وخلاق بإعادة تشكيل هذه الهوية واحتضانها من قبل الشعب، وفي العالم العربي تنقصنا آليات العمل وكلنا لدينا نية طيبة ونريد أن نعمل، والأعمال الفردية قد تؤثر ولكنها لن تغير مجرى التاريخ، أنا مع النخبة أن تكون النخبة طليعة ولا يستطيع الناس أن يذهبوا ويعملوا الأشياء المهمة دون أن يكون هناك رؤى وإستراتيجيات وخطط وتفكير، ومن ثم يتم احتضان هذا من قبل الناس ولكن الشعب العربي كله غير معتاد على دعم الثقافة».

استثمار مرتبط بالربح!

كل من يعمل بالشأن الثقافي مجبر الآن أن يفكر بمسارين متوازيين، مسار تكتيكي تفرضه الظروف الخاصة التي تمر بها البلد الآن ومسار إستراتيجي هذا ما بينه الفنان أيمن زيدان في مداخلة له قال فيها: «هناك شكلان من أشكال التعاطي مع الثقافة نحن مجبرين فيها، كما يحصل عادة شكل من أشكال الحكومات ما يسمى حكومة أزمة ويسمى حكومة خارج الأزمة، هذان المستويان يجب أن نأخذهما بعين الاعتبار في حديثنا عن الثقافة أننا أصبحنا مرغمين على أن نتحدث بمحورين، محور طارئ ومحور إستراتيجي ومحور إسعافي ومحور هو المشتهى والمنشود، ولكن يجب أن نسأل من المستثمر إذا عرفنا أن أركان الاستثمار ثلاثة: المثقف والبنى المادية والبنى القانونية.. هذه معادلة ناقصة نحن فهمنا من هو المستثمر وشروط أن يستثمر بهم، وهل يعني الاستثمار أنه متضمن لمفهوم ربحي؟ لأن المشاريع المقدمة كانت ذات طابع خدمي، وهل الاستثمار مرتبط كمفهوم بالربح وكيف صيغة الاستثمار بالثقافة المشتهاة»؟

أهم عوامل الجذب السياحي

وبيّن مستشار وزير السياحة المهندس علي المبيض: «أنه معلوم لدى الجميع بأن سورية تقع في قلب العالم القديم، كانت ولا تزال تشكل جسراً مهماً بين الشرق والغرب، وهي تمتلك مخزوناً ثقافياً بالغ الأهمية نتيجةً لتعاقب الحضارات والممالك التي قامت عليها خلال تاريخها الطويل والذي يمتد لأكثر من عشرة آلاف عام وهو متنوع ويشكل أحد مكونات الهوية الثقافية والحضارية لجميع السوريين على اختلاف مشاربهم وأطيافهم، وهو يميز سورية عن بقية البلدان الأخرى ويؤهلها لتدخل ميدان المنافسة بكل ثقة ويضعها في مقدمة صنّاع الحضارة والمدنية».

وأضاف المبيض: «لئن كانت الدول تسعى باستمرار للاستفادة من طاقات أبنائها وإمكانياتهم فحري بنا أن نسعى لاستثمار الثقافة بمفهومها المطلق والواسع والتي تعتبر من أهم عوامل الجذب السياحي السوري وإقامة مشاريع استثمارية وتنموية تخلق فرص عمل وتنعكس بالتالي على زيادة دخل المواطن ورفد الاقتصاد الوطني من خلال المخرجات الفنية والثقافية واستثمار الإمكانات الإنسانية والخبرات والمؤسسات الثقافية العامة والخاصة وذلك عبر الرؤية الشاملة للدولة والتي تسعى لتوثيق العلاقة بالقيم وروابط الانتماء».

«ذات لقاء» حوارات في أحوال الكلمة وضروب الفن

جُمان بركات

«في الحوار... حتى لو كان مع الذات... استشفاف للحقائق وتحفيز واستكناه» بهذه الكلمات بدأ حسني هلال كتابه الذي أعطاه عنوان «ذات لقاء جمع فيه حواراته مع نخبة من أعلام الشعر والقصة والرواية والنقد الأدبي والفن التشكيلي في أحوال الكلمة وضروب الفن.

يتميز الكتاب –الصادر عن الهيئة السورية للكتاب– بلغة سلسة وأسلوب أدبي لطيف ولغة سليمة، ويأتي الحوار مع المبدع لحثه على قول ما لم تتضمنه أعماله ولم يعرفه القارئ عنه، وفي هذا محاولة لاستكشاف الذات ومعرفة كينونة كل مبدع.

الشعر

يضم «ذات لقاء» في القسم الأول الشعر، وكانت بدايته مع ميخائيل عيد الذي قال: العبودية لمن نحب هي الحرية الوحيدة المتاحة لنا كي نطل على الحرية الحقيقية في هذا العالم، وقال: أعرف أنني لا أستطيع إنقاذ العالم، ولكني مازلت مصراً على عدم المشاركة في هدمه، وهذا تطور طبيعي للأمور في موقفي على الأقل».

«الأم والحكاية والطفل» مفردات آسرة نقرؤها دائماً في كتابات ميخائيل عيد، ولا يمكن أن يتخيل الحياة من دون هذا الثالوث، حيث قال: المحتويات صورة عفوية لطفولتي الفنية، وهذا يعني أن البذور التي تكونت منها شيخوختي قد نمت على تلك التربة، ومحبة الخير والجمال وإطاعتهما كره للشر والقبح وتمرد عليهما.

ترجم عيد عن البلغارية ما يقرب من ١٦ كتاباً في القصة والشعر، وكانت «أقاصيص متوحشة» أروعها، مع أنه كان يعتقد أنه لم يخلق للترجمة.

وبين خمس مجموعات شعرية وخمسة كتب نقدية، هي نتاج د. ثائر زين الدين المتداول بين القراء، حرص أن يزود المكتبة العربية بترجمات عدة عن الأدب الروسي، مسيرة أدبية امتدت ثلاثين عاماً لن يلخصها حوار، إنما يسلط الضوء على منابع الإبداع ومسارات ادّفاقاته المنطلقة من ذات الشاعر نحو عوالم إنسانية يقطّرها الوجد وينشرها الخيال.

أكاد أسمع طرقاً يقول: «إننا عائدون.. يسمونني شاعراً فلسطينياً وأؤكد أنني شاعر عربي بامتياز» وبحضوره البهي وسمرته البدوية ولكنته الفلسطينية يأخذك خالد أبو خالد إلى سيلة الظهر وحيفا ويافا، إلى صفد ودالية الكرمل، إلى عسقلان والنقب، حيث بيارات الكلام وخضرة المواجع المترامية في حاضر وماضي ومستقبل فلسطين أرضاً وشعباً، اغتنت تجربته الشعرية من خلال تجربته في العمل الفدائي وتحديداً بقاموسها الذي انتشر في قصائد جيله والأجيال اللاحقة، وحافظ في شعره على التفعيلة والوقع الموسيقي من دون أن تقترب من قصيدة النثر.

«الازدواجية تحتل الشعر.. الانتحار كامن في الولادة.. والنقاد معظمهم غير مبدعين» إنصاف الأعور معضاد، في دارتها يلتقي الأدباء من كل حدب وحب، وفي نظرتها يلتقي العرفان بالتمرد، وفي قلبها يلتقي الله بالإنسان، وللأدب في حصالة عيشها وفرة بادية، ولشعرها على السياسة لمسات دافئة، وللطفولة الجميلة الأنضر من حديقة عنايتها، يقول عنها «الماغوط» إنها صديقة الحزن الذي لا أصدقاء له، ويراها «أنسي الحاج» بشخصها شاعرة أكثر، ويعجب بها «أدونيس» رفيقة في الشعر.

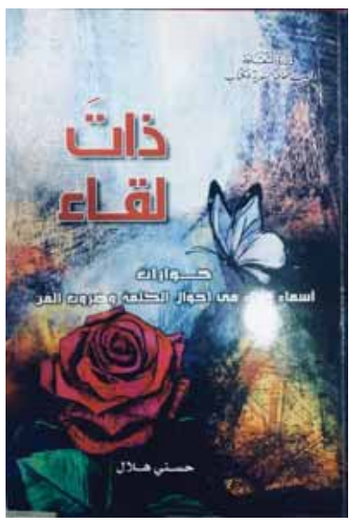

السرد

تقول اعتدال رافع «لا مسافة بين قلمي وألمي.. المقبرة عالمي المريح... وحلمي قبل الرحيل أن أرى سورية بخير وأمان» زارها حسني هلال في دار السعادة للمسنين في دمشق، ولم يكن الزمان والمكان الأمثل لمطارحتها أسئلة في هموم العيش ومهام الأدب وإشكالاته بقدر ما كان عربون تقدير وعرفان بجميلها وجمالها وإخلاصها أديبة وإنسانة، ولاسيما أنها الكاتبة المعروف عنها تواضعها وابتعادها عن الأضواء.

حتى لو قال أحمد يوسف داؤد عن نفسه إنه ينتمي إلى عصبة الهواة في الفكر والنقد والفن والحياة، يبقى أديباً مؤسساً في فنون الأدب السوري رواية ومسرحية وقصة وقصيدة، واسماً له حضور على الساحة الثقافية أديباً محاضراً وناقداً منذ سبعينات القرن السابق.

والكاتب والأديب فيصل خرتش قال: «لا أحقق نفسي إلا بالكتابة، الرواية نهر جار والقصة إحدى محمولاته» واستطاع لفت عناية المتلقي بصدق وحميمية سرده، يعتبر أن همومه هي هموم الوطن، فإذا كان الوطن بخير فأنا بخير، وإذا كان الوطن يعاني من محنة فأنا أعاني من محنة.

نجاح إبراهيم القاصة التي تراعد الشعر فوق نصها، وشاعرة هزها القصّ فتهاطلت، امرأة أغواها القدر بولوج متاهة الإبداع منذ عشرين عاماً ومازالت تكابد، لا هي تستطيع إلى النهايات وصولاً ولا إلى البدايات نكوصاً.

الفن التشكيلي

اسم يتردد على ألسنة الثقافة، واحداً من أعمدة التشكيل السوري يضعه النقاد والباحثون في مكانته اللائقة من الموسوعة الفنية في وطننا العربي، ويحفظ له المختصون ذوقه المائز في بورتريه الفن العالمي. يأخذ نذير إسماعيل مادته الخام من بقايا موجودات الطبيعة وبقايا أثاث البيوت وعتيق الأواني المستعملة، فقد يصنع لوحة أساسها بعض الخرق البالية وثانية من كراتين أدوية أو شرائط نحاس، وله رؤيته الخاصة للجمال أي إن له جماله الفني الخارج على الجمال الكلاسيكي ومقاييسه.

وقليل الكلام وكثير التأمل.. في صمته إصغاء، وفي سكونه موار، لتقاسيم وجهه قساوة البازلت وسمرته، ولنظرة عينيه شقاوة الطفولة وبراءتها. في شهبا بيت شفيق نوفل وبيته الرابض كحارس فوق تلة تشرف على منحوتاته وما تركه فيليب العربي من آثار تثير التساؤل.

ويرى عادل خضر أن الفن تعبير مكثف وصيغة إبداعية عن الواقع، مثلما تعلم، فمن المستحيل على الفنان الحق تقديم عمل ما أو أن يقول شيئاً ما ذا بال وقيمة، إزاء هذا الذي يجري في بلدنا، مما لا يطاله وصف ولا تستوعبه تسمية، فأمام الدم لا يمكن أن يزهر عمل أو قول أو فن.

النقد والإخراج

وفي حوارات حسني هلال في مجال النقد والإخراج كانت مع د. عاطف بطرس الذي يتمتع بحضور أدبي وشخصي لافت في ثقافتنا الأدبية، ونصوصه المقروءة في الصحافة المكتوبة، ومداخلات وشهادات على منابر المراكز الثقافية وشاشات التلفزة ومحطات الإذاعة، وتبقى ميزته الأولى في شد المتلقي إلى كلامه في كلا الحالتين: شفاهة وارتجالاً مباشراً أو كتابة ونصاً مقروءاً.

وفي قرية «ذكير» في محافظة السويداء، التي تذكرنا آثارها الظاهرة بغابر مجدنا وتاريخنا، كان الحوار مع المخرج الليث حجو أثناء تصويره إحدى حلقات مسلسل «الخربة»، والذي قال حينها «أحب قراءة نصوص ممدوح حمادة وأستمتع بها، حتى رسائله» و«عندما طلب إلي عدم تجاوز المسموح به تركت العمل في بقعة ضوء».

فنون مختلفة

في حواره مع هيام الحموي الصوت المجبول بأنغام الأنس، والكلمة المفتوحة على حدائق الإبداع، والحضور المنذور لورد وود وخير الوطن، قالت: «شام fm طفلتي الثالثة، أتعامل مع الكتابة كهواية، حكمت وهبي لا يغيب عن بالي».

بدأ ممدوح حمادة شاعراً ومازال يكتب الشعر، وبسبب نزوحه الدائم لم يتعلق بالأمكنة، كانت بدايته مع التلفزيون في «بطل من هذا الزمان» و«جلنار»، وفي أحاديثه ولقاءاته –مثلما هو في أعماله– يميل للاختصار والاختزال، وكثيراً ما تأتي إجاباته أقصر من الأسئلة الموجهة إليه، وحلقاته في «بقعة ضوء» تدل على ذلك وتؤكده، لم تبلغ ممارسته الصحافة والكاريكاتير سن الرشد، خلافاً لحاله في القصة والسيناريو اللذين اجترح فيهما مكانة وبصمة.